المرأة والرجل وهل يتساويان؟

رد على ردود

م في ضميرك خيّحوا ام قوضوا ومنى جفونك أقبلوا ام اعرضوا
وهْ رضاك من الزمان واهله محظوظا كما زعمت وشأنك أم رضوا

ما بال ربات الحجال ودوات الخلخال والدلال يزرن من خدورهن غضابى . واوسعتني لوماً وعتاباً . وقدحن عليّ حرباً أعدى من حرب البسوس . واظلم من يومي سعد و بؤس . وما اتيت ضدهن بمنكر . ولا ارتكبت في حقهن ذنباً لا يغفر .

اوماذا رأين في مقالتي « المرأة والرجل وهل يتساويان » من قصد التهاتل عليهن والاحجاف بحقوقهن حتى تفحمن في البوق وحجن بنات جنسهن في الاقطار وتألبن عليّ جماعات متفقات لاول مرة وترمينني في متناولي ترمي الآساد وعبدة بين نفر من الظباء . وانا لم آتِ فيهن الا بما قرّره الواقع وشهد به الحال انتصاراً لمن من القوم المظلمين

أقصرت في مدحهن ام لم ابالغ في وصف محاسنهن ام لم اعترف بحقوقهن . الست القائل فيهن « وبرّوا لما افلاماً أقوم من قدود الهيف اذا أخجلت سمر القنا . وطعنوا بها ملعنات اوقع من لحاظهن اذا رنت سهامها في القلوب » . أفلا يعجبن بهذا الاطراء . اولست القائل ايضاً « ولا يبخسها هو (اي الرجل) حقاً اعترف لها به مقامها في الهيئة الاجتماعية متضاحين الاعمال كلٌ منهما في دائرته غير متطاول الى دائرة سواه . وبذلك يتم نظام العائلة البشرية التي هي ام الاجتماع الانساني » أفلا يرضين بهذه المساواة

على اني اجابن عن ان لزمن مقالة من يقول « ان النساء لا يرضين شيء » ولعل في الامر دسيسة يد مبرقعة وما هي بذات برقع (سامحها الله) اقترف علينا ذلك فاقتضت عبارتي وحوّلت اشاراتي وابدلت قولي وغيرت منقولي اعتداء عليّ وتملقاً لمن وصلت بيننا نار هذه الحرب وهن منها بشهد الله براء وانا لست منها في شيء بل ترائي أقدم فيها رجلاً وأؤخر اخرى . والأ فهن ارفع من ان يعدُدن نقرير الواقع تحاملاً والانصاف اجحافاً .

قد وقع الصلح بيني غلني فاقبلوها كارهاً كاره
لا يدبر البقال الا اذا تصالح الثور والفاره

رحماكن سيداتي لو كان في ان اصف المرأة كما اريد واشتهي لوصفتها كما قال احد شعراء الانكليز « ان الله خلق الرجل اولاً على سبيل التجربة ثم خلق المرأة اخيراً » لتكون من طينة ارقى ولكن من اين لي ذلك وانا لم انجشم البحث في هذا الموضوع واجعل نصب عيني لسبب الاغراض الا استناداً للعلوم الطبيعية لا التصورات الخيالية كم اخر بصدد الوقائع و يتهيد الاحوال ابطاء رفع شأن المرأة في العمران بمعرفة مقامها الطبيعي فيه ولا ذنب في الا ذنب الصادقين في الود المخلصين في القول والا فما المانع من ان تساوي المرأة الرجل واذا لم تطلب ذلك بل تركته بين الشرائع المختلفة تحاولها و يتوى عليها من اوائل الامر

واني يمكن ان تكون بينهما هذه المساواة وهما مختلفان بالطبع من اصل الفطرة سبق التركيب والقابليات والواجبات . فطلب المرأة مساواة الرجل كطلب الرجل مساواة المرأة امر مستحيل واني لاعجب كيف يحاول بعض الناس اثبات هذه المساواة وما مثله الا كمثل من يحاول ان يساوي بين اعضاء الجسد المختلفة . أفلا يجهل ان اختلاف التركيب يوجب اختلاف القوى والاعمال

واني لابينها الان وقد تقرر هذا الاختلاف كما تقرر بين اعضاء الجسد ان تعرف نسبة بينهما ولا بحث في ذلك من حيث اهميتهما في الجسم الاجتماعي فانه لا خلاف في ان كلا منهما عضو مهم شديد اللزوم لكمال الهيئة الاجتماعية كما ان كل عضو من اعضاء الجسد شديد اللزوم لكماله . وقد تقدم لك ذلك في مقالتي السابقة حيث قلت « بل تفهمها (المرأة) في مقامها الحقيقي الذي يليق بها تامة الرجل في ارتقائه مساعدة له متممة ما نقص من كماله محققة عنه مشاق الحياة الداخلية كما هو يذلل لها مصاعب الحياة الخارجية حاضنة لاولاده مخت جناحي حنوها وتدبيرها عن طبع وتهذيب كما هو اجير على راحتهم بحربي سعيه واقدامه عن سليقة ومعرفة » بل نبحث في نسبة هذا الاختلاف من حيث تداولهما في القوى جسدياً وعقلياً

كتبت مقالة بعنوان « المرأة والرجل وهل يتساويان » ضمنتها خلاصة مباحث الطبيعيين وعلماء الاخلاق المتأخرين وصرفت فيها النظر عن اقوال المتقدمين ولم اورد من اقوالهم الا شيئاً يسيراً على سبيل الاستطراد لا الاستشهاد وقيدت نفسي كل التقييد بعلوم الاختبار واقتصرت على ذكر الوقائع المجردة واجتنبت كل قدر الطاقة التعرض للاسباب الا فيما ندر . كل ذلك لكي احصر الموضوع في دائرة لا يجد فيها المتقولون محلاً لكثرة الظنون

حسماً للنزاع وحرصاً على الحقيقة ان نجتنبها فيجانب الاوهام وتخدشها عواصف الاغراض اذ هي كما قيل

خطرات النسيم تجرح خدّ ... ه ولمس الحرير يدمي بنانه

وقد رأينا مما قرره علماء طبائع الحيوان كما قلنا في ما سلف ان الانثى اشد من الذكر في الحيوانات السافلة واضعف منه في الحيوانات العالية ومساوية له في ما كان بينهما واسطتهما من ذلك ان امتياز الانثى على الذكر من صفات الحيوان السافل وان امتياز الذكر عليها من صفات الحيوان العالي . وانما ذلك هناك مفصلاً بآيات بينات طبيعية وادبية وعقلية . وعلينا ان هذا البيان كان لان يكون الدليل الفصل لما فيه من الصراحة والوضوح والاستناد الى الادلة التشريحية والفزيولوجية والسيكولوجية التي بتذليل عندها قطعت جهيزة قول كل خطيب . وما قصدت الا ان اجعله قاعدة يختلف اليها عند البحث في هذا الموضوع وما اتيت فيه بحرف يشير الى وجوب تحقير المرأة واهمال تعليمها بل بالضد من ذلك قصدت ان ابين مقامها الحقيقي في الهيئة الاجتماعية وان انبه الى اهمية هذا المقام لئلا يشغله عنه شاغل يشمخ بها الى ما سواه فتقصر فيه ويصيبها كما في قوله

حسد القطا فارادَ يمشي مشيها ... فاصابه ضربٌ من العقال

ولئلا يذهل الرجل عنه فلا يوفيها حقوقها فيسوء مصيراً وكل ذلك حرصاً على انتظام العائلة البشرية وتحسين حال الانسان سيئ العمران بموقفة كل من الرجل والمرأة عند ما يقف عنده . وكنت انتظر من السيدات ان يعدداني بذلك تشيراً لمن وخير نصير

وصاحباً كالزلال يهجو ... صفاؤه الشك باليقين

وان ارى منهن تصويباً يشفيني في الدفاع عنهن اذ ادخل الموضوع من ابوابه، لان المدافع عنهن في غير اساليب الصواب يكون لهن شر نصير . ولكن لا اعلم كيف اقابل حضرات السيدات اللاتي تصدين للرد علي زاعمات انهن وجدن في مقالتي مطاعن فوقن نحوي سهام اللوم والتعنيف ولولا الخوف من ان يستحكم هذا الظن في اذهان جمهورهن بمطاعنهن مقالات نصيراتهن ويتناسين حقيقة مقالتي لتقادم عهدها ينصرفن الى اللوم بافي متحاملٍ فيها عليهن لاقتصرت على مقابلتهن بالشكر لقاء اطنابهن في مدحي واستغنيت عن هذا الايضاح الذي لا ارى داعية هذه بداً منه ولا كتفيت مؤونة الرد على اعتراضاتهن لقيام بعضها على الوهم وسقوط البعض الآخر من نفسه بمراجعة نفس مقالتي .

(١) انكرت على حضرة السيدة الفاضلة م . ا . ب . قولي ان الفرق بين المرأة

والرجل في القوى انما هو من اصل الفطرة وذهبت خلافاً لي الى انه من فرق التعليم والرياضة والعادات وزعمت انها تؤيد قولها من كلامي المتناقض حيث قالت برشيق عبارتها « اجنبي، ان اقول ان بعض اقواله متناقضة ... اوليس هو القائل مع العلامة بروكا : ان زيادة اتساع الجمجمة في النساء قديماً عما هو عليه حديثاً كانت (لان) المرأة كانت في ذلك العهد تقاسم الرجل الاعمال اكثر منها في هذا العهد » واستطردت من ذلك الى القول « فما المانع من انه لو دامت لها هذه المقاسمة الى هذا الزمان ليقيت مثله او اسمى منه » اقول نعم النتيجة لو صحت المقدمة ونعم الحجة علي لو صح النقل عني فعفواً ايتها السيدة لم اقل ذلك وهذا قولي « الغرب ان نساء الاجيال التي عاشت قبل التاريخ كانت نسبة سعة جمجمتين أعظم منها في نساء اليوم قال بروكا وهذا يظهر منه (أن) المرأة كانت في ذلك العهد تقاسم الرجل الاعمال اكثر منها في هذا العهد » لا « لانها » وهو على حد قولي ايضاً بعد ما تكلمت عن تقارب الرجل والمرأة تشريحياً في اوائل الحياة وتباينهما في اواسطها ثم تقاربهما بعد ذلك « وهذا الفرق التشريحي يرافقه فرق في القوى العاقلة والادبية ومنه يفهم لماذا يشترك الذكر والانثى في سن الحداثة ثم يفترقان كثيراً في سن البلوغ ثم يتقاربان في سن الهرم » فعلى مقتضى قول حضرتها يجب ان يفهم من هذا القول ايضاً ان اقتراب الرجل والمرأة وافتراقهما تشريحياً هو لاشتراكهما وافتراقهما بالالعاب والمفهوم بالعكس ولا يخفى ما بين القولين من الفرق في المعنى وان لم يكن بينهما الا زيادة حرف واحد في اللفظ فمفهوم كلامي نتيجة ومفهوم كلامها سبب وهذا الخطأ منها في النقل هو سبب هذا الوهم في نسبة التناقض لكلامي ولضيق المقام اكتفي بالتنبيه اليه لازالة هذا الوهم ولا اشك في انه من حضرتها خطأ سهو

ولا انكر ان التعليم والرياضة والعادات الخ تؤثر جداً في حال المرأة ويجب ان تستخدم لخيرها ولكن لا اسلم مطلقاً بانها اذا تساوت فيها مع الرجل ساوته في القوى لاسباب أعدها جوهرية في تكوينها وقابليتها وواجباتها هذا اذا كنا نسلم ان القوى والاعمال مرتبطة بتكوين الاعضاء. الا ترى ان الاشغال التي تعلمها النساء كالرجال واكثر منهم كفين في الخياطة والطبخ والرسم والموسيقى لا تستطيع المرأة ان تساوي الرجل فيها كما قلت في مقالتي السابقة . على ان نفس مساواتها له بالتعليم والرياضة والعادات لو تأملناها جيداً لوجدناها الا في ما ندر ممتنعة من اصل التكوين فطلب المرأة والحالة هذه مساواة الرجل فرض مستحيل لا يجوز لها ان تضيع وقتها فيه وهذا لا يحط من قدرها لان عليها واجبات اخرى

مهمة جداً اذا احسنت القيام بها لم تعدم حقوقها في الحياة الاجتماعية

(٣) اعترضت علي حضرة الفاضلة السيدة ر . ح . اعتراضات شتى لا يسعني ضيق المقام الا ان آتي الجواب عليها اقتضاباً لكثرة خصوصاً ووجوب الرد على كل بنت صبة واحدة لئلا يعد بين علي اذ ان السيدات يصفحن عن كل ذنب الا ما تشم منه رائحة التفضيل بينهن

قالت : اني بحثت في المرأة والرجل بحث الطبيعيين لا بحث اهل النظر وعابت علي ايرادي بعض امور عن المرأة اقرب الى البحث النظري منها الى البحث الطبيعي مثل قولي « ان الرجل باكل اكثر من المرأة ولكنها انهم منه وان الذي يتعاطى ارتكاب الجرائم انما هو مختلها وحياؤها حائلا من الرضوخ وعوائدها التي تخجبها وضعف جسدها وانها اجبل من الرجل واخدع لانها اضعف منه والحيلة والخداع سلاح الضعيف » ولا انكر بان من هذه الامور ما هو اقرب الى علوم النظر الا اني اقول ايضاً اني لم التزم البحث في الوجه الطبيعي الا لكي اجعل الوجه النظري مجالاً اوسع وفيسحة اعظم بتمهيد السبيل له حتى يقل خطؤه ويكثر صوابه اذ لا يخفى ان العلوم النظرية ليست الا الاستقراء والاستنتاج المبنيين على امور مسلمة في عندهم كاطفاق فكلما كانت هذه الامور المسلمة اقرب الى الصواب كان الاستقراء والاستنتاج المبنيان عليها اصح كذلك . وأي شيء اصح من العلوم الطبيعية التي هي في حكمها كالعلوم الرياضية ولذلك كان كثير من احكام النظر المبني على هذه العلوم حكمه كحكم اليقين . على ان من الامور النظرية المتقدم ذكرها ما هو مبني على المراقبة والاختبار فقول حضرتها « فباي مقياس قاسوا تهامة الرجل والمرأة حتى عرفوا انها انهم منه » مردود عليه بقول انهم قاسوها بمقياس المراقبة وان لم يرضها ذلك بمقياس « الاكل » ولا اعلم ما الذي سادها من هذا القول وهو ليس فوق بل قول جمهور العلماء المتبحرين في درس طبائع الحيوان ومراقبة افعاله . وان لم يقنعها ذلك فنحن تأتيها بتعليل فلسفي ينطبق على هذا القول لعلها تقنع فلا يخفى ان بين عوائد الرجل وعوائد المرأة بوناً بعيداً فالرجل كثير الحركة كثير السعي . والاشغال التي تطالبها احتياجاته شاقة وتطلب منه جهداً جسيداً وسعياً عظيماً خارج مسكنه فلا يتأتى له ان يتناول الطعام الا في اوقات متباعدة ولذلك كان لا يجلس على الطعام الا وقعات قليلة ويأكل كثيراً . بخلاف المرأة فان سعيها قاصر على تدبير منزلها وحركتها النظر الى ذلك قليلة والاشغال المطلوبة منها وان كانت مهمة الا انها غير شاقة بالنسبة الى اشغال الرجل

وعلومه وهي دائماً في البيت وهو دائماً بعيدٌ عنه ولذلك كانت تأكل أقل من الرجل وتجلس على الطعام وقمت أكثر منه ولهذا كانت أنهم منه

ولما كون الذي يتميز من تركيب الجراثيم « انما هو خصائصها وحياتها وحالتها من الرضوخ وميلادها التي تحميها وتصف جسدها » فهو قول بعضهم وكنت اود ان اسلم مع حضرتها بان الذي يتميز من ذلك انما هو « لانها اميل الى السلام وحب الاتفاق وكره المآثم والشرور » الى آخر ما قالت لاني اريد ان تكون فاقدة هذه الصفات ولا ان هذا التعليل نفسه قاصر ويحتاج الى تعليل آخر يعرى منه لماذا في كذلك فلا شك انها كذلك لانها اضعف واذل من الرجل وهذا يولد فيها الخوف ولانها محجبة وان لم تبق محتجبة وهذا يولد فيها الخجل والحياء وما ادراها من صانعي لا ارضى للسيدات ان يحتجن منهما

ولكن نفس هذا التعليل يعلل لماذا المرأة احيل واخدع من الرجل لكن لما كانت حضرتها لا ترى وجه الخداع في قولي « لانها اضعف منه واحيل واخداع سلاح الضعيف » كان لا بد لي من بسط الكلام عليه لكي وجه اعز تأييداً لهذه الحقيقة النظرية التي هي في بيوتها كالحقائق الطبيعية المقررة ولا ننظر اليها في انواع الحيوان حيث نرى آلافاً من الامثلة التي عندما يكون ان الحيلة في كل قوة الحيوان الضعيف لدفع عدوان الحيوان القوي عنه او لأخذ شيء في شركه ولولا ذلك لما امكن بقاء حياً مع خصمه القوي بل ننظر اليها في احوال الامم في العمران فلا يخفى ان الشرائع الحاكمة على الامم كانت في بدء الامر استبدادية ظالمة ولم تزل غير متساوية في كل الاقطار ومعلوم ان الاستبداد يورث الخوف في قلوب الرعية فلا تجد ما يحميها من غضب ما كبا المستبد سوى التملق له والرياء به . والرياء يورث الخداع والكذب وما دام كل واحد يستعمل فيها ذلك بطول امدها محكومة بالاستبداد ويتنقل في نسلها بالوراثة حتى من سلف حتى يصير فيها خلقاً طبيعياً لا تزول منها بالتعليم والخبرة حتى يمر عليها مئات قدر ما مر عليها من عصور الجهل والاستبداد ولذلك كنت ترى الشعوب التي باشروا تحت ظل الاستبداد واستحكم فيها الرياء قوماً لا يصدقون ولا تجد بينهم صديقاً مخلصاً ولو خرجوا الى نور العلم والخبرة ولست تجد بينهم ذلك حتى يمر عليهم فيه قدر ما كان عليهم محجوبين عنه . وما قيل هذا يقال ايضاً عن الرجل والمرأة وكلامنا هنا لا يجوز النظر فيه الى شعب من الشعوب او أمة من الامم بل الى عموم البشر في العمران فان الرجل لجهله استبد في اول الامر وخالفه المرأة فاستسلمت له واقبلت عليه مخالفة كي تخرج من جوره ولا يكفينا ان ننظر الى نساء الشعوب المتمدنة بل فلننظر الى

نساء الشعوب التي لم تزل غارقة في الجهل فلا تكاد تجد امرأة تخاطب زوجها الا كعبد ذليل امام سيده المستبد فكيف يمكن لهذه المرأة ان تكون غير محتالة ومخادعة . وكون المرأة احيل واخدع من الرجل لا يحط من شأنها بقدر ما يحط من شأن الذي هو سبب ذلك فيها . على اني لا انكر ان هذه الصفات المذمومة في الجاهلة تنقلب — وهنا اوافق حضرتها — الى مزايا ممدوحة في المرأة المتهذبة بحيث تصير فيها فضيلة وانضاعاً وطاعة وصبراً وظهراً وعفافاً وعبة وشفقة وحنواً الى آخر ما وصفتها به من جليل المزايا وحميد السجايا

للرد بقية

جان دارك الفرس

السيدة آنابتروفنا روسية الاصل كانت زوجة رجل يهودي هاجرت بلادها الى القوقاس وانتظمت في جمعية الاشتراكيين العمومية واشربت مبادئهم واتخذت بينهم مقاماً سامياً حتى كانت رسول الحرية . وقد انتدبتها تلك الجمعية لتحتج على حكومة العجم الماضية في عيد شاعها المخلوع ايام الفتن الاخيرة فيها ولما وصلت الى اربوع الفارسية استقدمها اليه قنصل جنرال روسيا في طهران وهددها باعتقالها اذا هي اصرّت على الاحتجاج باسم الثورويين

اما هذه السيدة فلم يثنها تهديد القنصل لها فمضت الى احدى صديقاتها في عاصمة الفرس وصديقتها المذكورة هي قرينة الكنخدا في طهران . فانفذت مرامها وتزوجت الكنخدا وصارت له الزوجة الثالثة

ونسي لها بعد ذلك متابعة عملها فكانت تحمل الى زعماء الثورة العجمية قنابل الديناميت مخبوءة بين اكاليل الازهار وظلت قائمة بامانة ونشاط على اتمام وظيفتها حتى تم الفوز لانتصار الحرية في العجم وخلعوا الشاه السابق ونصبوا ابنه عوضاً عنه . وقد دُعيت آنابتروفنا جان دارك الفرس منذ ذلك اليوم